أخطر لأنه الأقوى والمتجبر)[29]. هذا هو الواقع الذي تعرفه بطلات الرواية. وهذا ما كانت تقوله مي زيادة ـ من قبل ـ إذ نادت الرجل قائلة له: أيها الرجل حررني كي تتحرر ـ انظر الفصل الخامس ـ.

ومن واقع كونه ضحية من حيث إن المتسلط تتلبسه روح الاستعباد ويكون خاضعاً لدوافعها فإن الرجل يتثقف مدعياً الرغبة في تغيير العالم وتغيير الآخرين، إلا أنه لا يسعى إلى تعديل ذاته وتغييرها. إنه يغير الآخرين فحسب بينما يظل هو ذلك المستبد الأوحد. ولذا فإن ما يحدث في رواية (لم نعد جواري لكم) هو أن الفتيات الخمس ينتهين ليصبحن ضحايا هذه الذاكرة المتناقضة، والنخبة تتحول إلى جحيم إنساني تكتوي به كل واحدة من نساء الرواية، وكلهن وقعن في شراك الضياع والعبث وتكسرت أنوثتهن في لحظة واحدة، لحظة نهاية الرواية حيث تقع (سهى) في شرك المخدرات وعذاب ذاكرة الطفولة بما فيها من حرمان وإرهاب ذاتي. ويغدر خطيب سميرة بها ويتخلى عنها وهو ابن عمها وحبيبها الذي بذلت له مالها وأعانته على تحمل مصاريف الدراسة في بريطانيا، وانتهى بأن أحب زميلته الإنجليزية وغدر بخطيبته التي وفت معه وصبرت من أجله. وحدث للنساء الثلاث الأخريات نهايات مماثلة حيث ارتمت (ايفيت) بأحضان الانكسار والخنوع بعد أن فقدت فلذة كبدها في حادثة غرقت فيها ابنتها وتسبب ذلك في انهيارها. بينما هاجرت نسرين إلى أمريكا فارة من جحيم الآخرين مثلما فرت (سامية) من ذاكرتها ومن الحياة وتركت كل شيء لأن الأشياء لم تعد تثير فيها سوى الضغينة والانكسار. وينتهي الأمر بالجميع إلى أن يقلن: (كلنا زوارق تعيسة تعيسة ص 143).

هذه ذاكرة الجواري التي ضاقت بها صدور النخبة وسلبت منها

(29) سحر خليفة: عباد الشمس، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الاعلام والثقافة ـ دمشق 1984.